"خميـــس" الأموات و"أحـــد" النصارى

www.arabpsynet.com/documents/DocAbuBakrDeadThChristSu.pdf

أ.د. خولـــة أبوبكـــر

مركز "ناس" لدراسة الجندر والمجتمع العربي، أكاديمية القاسمي.
khawlaa@yvc.ac.il

هنالك مناسبات وطقوس مارسناها في الطفولة واندثرت. عندما نحلل أسباب استحداثها وأسباب اختفائها نكتشف **ديناميكية تطوّر العلاقات الاجتماعية والدينية**.

عندما كان يحل "**خميس الأسرار**" لدى الطوائف المسيحية الشرقية، كان السكان المسلمون في عكا (قطن معظمهم آنذاك في عكا القديمة) يخرجون لـــزيارة أمواتهم. كانت الزيارة تبدأ لدى البعض مع آذان الفجر ويبقون داخل حيّز المقابر حتى آذان المغرب أو العشاء بحسب إمكانيات الإضاءة. كان الرجال يخرجون يوما أو يومين قبل هذا للمقابر وينظفون ما نما أثناء الشتاء من عشب وشوك ويمهدون المكان لجلوس الأسر. يوجد في إحدى المقابر في عكا مقام كبير فكانت الأسر التي تأتي باكرا تحتل مساحة منه فتفرش الحصائر والمفارش. ولأنها ستبقى كل النهار، فكانت تحضر طعاما وشرابا للأسرة وللتضييف.

هنالك كثير من الشعوب التي تكرّس شعائر سنوية للأموات لها أهداف اجتماعية وثقافية (حضارية) ونفسية منها المحافظة على الذاكرة الجمعية للأسرة بخصوص أحداث أليمة، احترام الجدود، تنفيس مشاعر ما زالت مدفونة تجاه فقدان ملوّع والتعامل مع الموت كبند ثابت من الحياة اليومية وليس مفصولا عنها.

"**خميس الأسرار**" هو خميس حزين في الديانة المسيحية، أثناءه عرف يسوع الشاب ابن الـــ 32 عاما بأنه سوف ينهي حياته الراهنة. تعشى عشاءه الأخير مع أصدقائه – الذين كانوا أهم من العائلة بالنسبة له – وفورا وشى به أحدهم وكانت النتيجة المباشرة أنه عُذّب أمام أعين أسرته وأحبائه وأصدقائه وأعدائه.

يحيي المسيحيون هذه الذكرى بواسطة التعبد والصلوات الحزينة في الكنائس.

وعندما تعيش طائفتان بوئام واحترام متبادل، يحدث **تَثاقُـــــــــــــف** بين الطرفين ويتناقلان العادات والطقوس التي تتسرب من طائفة إلى أخرى بدون رادع. لا أدري متى

هنالك مناسبات وطقوس مارسناها في الطفولة واندثرت. عندما نحلل أسباب استحداثها وأسباب اختفائها نكتشف ديناميكية تطوّر العلاقات الاجتماعية والدينية.

كثير من الشعوب التي تكرّس شعائر سنوية للأموات لها أهداف اجتماعية وثقافية (حضارية) ونفسية منها المحافظة على الذاكرة الجمعية للأسرة بخصوص أحداث أليمة

"خميس الأسرار" هو خميس حزين في الديانة المسيحية، أثناءه عرف يسوع

الشاب ابن الـ 32 عاما بأنه سوف ينهي حياته الراهنة

بعض الأسر التي كانت تبالغ في ممارسة طقوس دائرية الحياة والموت فتبدأ النهار باكية على المقابر ثم تنهيه بالرقص والغناء بين القبور

بدأت أصوات تقول أن هذه "أعيادهم" وليست أعيادنا، وأن الإحتفال بعيد الغير هو "بدعة". وصار الناس يتجادلون حول شرعية الإحتفال وحول شرعية إبداء العلاقة النفسية مع الأموات

تم تفكيك الأهداف النفسية والمجتمعية والثقافية واستُبدِلتْ بمنظومات من المحظورات والشعور بالإثم والتي لا تنسجم أبدا مع الأجواء

بدأت تسري العادة لدى الفلسطينيين ولكن سكان المدن الفلسطينية مثل عكا, يافا وحيفا اللاتي كانت مأهولة بالمسلمين والمسيحيين بدأوا يحيون شعائر "**خميس الأسرار الحزين**" بما يتناسب مع حاجاتهم. فبدأوا يزورون أمواتهم عندما يصلي المسيحيون في ذكرى ميّتهم. ويبدو أن هذا قد وفّر حاجات نفسية–اجتماعية لدى المسلمين الذين غابت عن ثقافتهم شعائر جَمَعِيَة تبرز دور أمواتهم في حياتهم. كانت تجتمع الأسرة كلها حول قبر أو قبور العائلة، تتحدث عن الفقدان تارة، وتأكل وتشرب تارة – مؤكدة على مبدأ دائرية الحياة الموت، ثم وتزور قبور أسر أخرى فقدت أحباءها مؤخرا وهكذا تساهم في الدعم النفسي المجتمعي. كانت هنالك بعض الأسر التي كانت تبالغ في ممارسة طقوس دائرية الحياة والموت فتبدأ النهار باكية على المقابر ثم تنهيه بالرقص والغناء بين القبور.

في "**أحد الفصح**" الذي يتلوا "**خميس الأسرار**" و"**الجمعة الحزينة**"، وعندما يحتفل المسيحيون بالعيد الكبير كان المسلمون يحتفلون أيضا ويخرجون للمتنزهات والأحراش ويسلقون البيض ويلّونونه ويلتئم شمل الأسر ليقضي الكبار والصغار أوقاتا استجمامية معا. كان الرجال ينضمون للنساء والأطفال في بعض الأسر وأخرى كان الرجال يبقون في أشغالهم بينما تخرج مجموعات النساء والأطفال للإحتفال. كنا نخرج من عكا القديمة، الخالية من الحدائق والمتنزهات، ونحتل كل متر أخضر في حدائق "عكا الجديدة" ونهاريا ونصبح مُلّاكا للحيّز العام في ذلك النهار ونفرض على المكان وجودنا وأكلنا وإيقاع الدربكة الخاص بموسيقانا وأصوات غنائنا وحركات رقصنا. لم تكن لدى معظم الأسر سيارات فكانت سيارات الأجرة من عكا والقرى المجاورة تتركز في عكا القديمة لنقل الأسر وما تحمله من طيبات من البلدة القديمة للمتنزهات وعودة في آخر النهار. كان هذا عيدا اسمه "**حَدّ النصارى**" أي أحد النصارى؛ عيد نافس به المسلمون احتفالات المسيحيين في عيد الفصح أو العيد الكبير. في مصر، وتحت تأثير الأقباط، يعتبر هذا اليوم والذي يُسمى "شم النسيم" عيدا قوميا وعطلة رسمية للدولة. وإذا قال قائل أن أصل هذا الإحتفال هو فرعوني فإن هذا يؤكد على الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية للشعائر آنفة الذكر وموضوع التثاقف بين المجتمعات والأديان.

أذكر التأهب الكبير للمناسبتين والاستعدادات التي كانت توازي – وأحيانا تتبارى مع – استعدادات الأسر المسيحية لعيدها، بما فيه تحضير كعك العيد وسلق وتلوين البيض وأحيانا شراء ملابس جديدة. أدت هذه العادات التي تطورت مع الأجيال إلى تماهي المسلمين مع المسيحيين أثناء مناسباتهم وفي نفس الوقت لبّت لدى المسلمين حاجات نفسية واجتماعية كانوا

التنفيسية أو الإستجمامية السابقة

ماذا نتعلم عن ديناميكية علاقاتنا الإجتماعية والطائفية من طقوسنا وشعائرنا التي نقوم بها في أعيادنا الدينية والقومية اليوم؟ هل نحن راضون؟ هل نريد أن نتدخل للتغيير؟ أي تغيير؟ هل لدينا أجندة متفق عليها؟ أسئلة مطروحة للتفاكر والمناقشة المجتمعية.

بحاجة لها.

لماذا اختفت هذه العادات؟

بدأت أصوات تقول أن هذه "أعيادهم" وليست أعيادنا، وأن الإحتفال بعيد الغير هو "بدعة". وصار الناس يتجادلون حول شرعية الإحتفال وحول شرعية إبداء العلاقة النفسية مع الأموات ويلومون من يمارس الطقوس المتبعة حتى صار من يمارس هذه العادات يشعر بالذنب وبالعار وكأنه يهين دينه عندما يحترم شعائر ديانة وأصحاب دين آخر. في نهاية المطاف، تم تفكيك الأهداف النفسية والمجتمعية والثقافية واستُبدِلَتْ بمنظومات من المحظورات والشعور بالإثم والتي لا تنسجم أبدا مع الأجواء التنفيسية أو الإستجمامية السابقة.

لم يطوّر أي مجتمع عادة لم تكن هنالك حاجة اقتصادية أو إجتماعية أو نفسية لها. ماذا نتعلم عن ديناميكية علاقاتنا الإجتماعية والطائفية من طقوسنا وشعائرنا التي نقوم بها في أعيادنا الدينية والقومية اليوم؟ هل نحن راضون؟ هل نريد أن نتدخل للتغيير؟ أي تغيير؟ هل لدينا أجندة متفق عليها؟ أسئلة مطروحة للتفاكر والمناقشة المجتمعية.

**** ****

ARABPSYNET PRIZE 2012

جائـزة البروفيسـور مالك بدري لشبكـة العلـوم النفسيـة العربيـة 2012

www.arabpsynet.com/Prize201/2APNprize201.2pdf

**** ****

المجلـــة العربيـــة للعلـــوم النفسيـــة

eJournal Index APN

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

**** ****

دليـل المجـلات النفسيـة العربيـة

الإصدار العربي

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.Ar.htm

Arabpsynet Journals Guide

English Edition

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.htm

French Edition

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.Fr.htm